(قيم إنسانية – العلم)

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 161].

أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» وفي رواية البزار: «مَكَارِمَ الأخلاق».

الحوسبة السحابية، الذكاء الاصطناعي، وتحليل البيانات الكبيرة، الابتكار في المناهج البحثية، النمذجة الحاسوبية، وتقنيات التصوير المتقدمة، تطوير اللقاحات والعلاجات، المكتبات الرقمية، الجينوم البشري، مشاريع الطاقة المتجددة، استكشاف الفضاء.

كلها اكتشافات حديثة يتابع العلماء فيها لخدمة البشرية مصدرها الرئيس العلم.

ولقد كان للمسلمين فيما مضى قصب السبق في اكتشاف ما ينفع البشرية وإن لهم اليوم في ذلك نصيباً وهو مدعوون لزيادته.

أورد حاجي خليفة في كتابه الموسوم بـــ "كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون" –وهذا كتاب مَعنيٌّ بأسماء العلوم وأسماء الكتب المصنَّفة فيها– أورد فيه ما يزيد على ثلاثمائة علم قدَّم فيها المسلمون أبحاثاً مبتكرة، وذكر حاجي خليفة في مقدمة كتابه شروط العلم فقال: "ومن الشروط حتَّى تكون من أهل هذا العلم: العزم والثبات على التعلُّم إلى آخر العمر، كما قيل: الطلب من المهد إلى اللحد، وقال سبحانه لحبيبه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ وقال: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾".

قال المفسرون: "لم يأمر الله تعالى نبيه الكريم ﷺ في قرآنه الكريم أن يطلب الزِّيادة من شيء إلا من العلم"، وما يزال الرجل عالماً ما تعَّلم، فإذا قال: إني عالم، فقد جَهِل.

إنك لتعجب من كبار علمائنا يقول واحدهم وقد جاوز الثمانين: إني لأتمنى على الله أن أموت وأنا أطلب العلم.

طلب العلم فريضة على كل واحد فينا، على كل مسلم ومسلمة، وتعلم العلم عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، وعالمٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألف عابدٍ، «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ» [أبو داوود]، وأخرج الإمام الترمذي عن قيس بن كثير قال: كنتُ جالساً مع أبي الدَّرْدَاء فجاءه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، إني جئْتُكَ من مدينَةِ الرَّسولِ ﷺ، لحديث بلغني أنك تُحَدِّثُه عن رسولِ الله ﷺ، ما جئتُ لحاجة، قال: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن سَلَك طريقاً يطلبُ فيه علماً: سلك الله بِهِ طريقاً من طُرُق الجنَّة، وإن الملائكة لَتَضَعُ أَجْنِحَتها رِضىً لطالب العلم، وإن العالم لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَن في السماوات ومَن في الأرض، والحيتَانُ في جَوف الماء، وإن فَضْلَ العالم على العابد كَفضل القمر ليلة البدر على سائرِ الكواكب، وإن العلماءَ وَرَثَةُ الأنبياء، وإن الأنبياءَ لم يُوَرِّثُوا دِيناراً ولا دِرْهماً، وَرَّثوا العلم، فمن أَخَذَهُ أخذ بِحظٍّ وَافِرٍ» [أبو داوود].

والحمد لله رب العالمين